العفو والعافية

العفو أن يعافي الله ﷻ الإنسان من كل معصية توصله لغضبه تعالى، والعافية أن يعافيه من داء تفر منه الناس لأنه لم يُعط الإنسان من الدنيا خير من العفو والعافية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إني أسألك العفو والعافية**» وفي رواية: «**اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة**»[1].

شرح الحديث

الرسول عليه الصلاة والسلام يوصي عمه وهو أقرب الناس إليه بأمرين عظيمين في الدنيا والآخرة: أن «**سل الله العفو والعافية**».

العفو أن يصرف الله عنه كل أمر يبعده عنه تعالى وكل بلاء لا يصبر عليه فيوصله لسخطه تعالى لعدم الرضا بالقضاء.

والعافية أن يسأل الله تبارك وتعالى أن يعافيه من داء الجسم وداء النفس.

كان وهب بن الورد رحمه الله يقول: العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وواحد في الهرب من الناس، وقال: مكث منصور بن المعتمر أربعين سنة لا يتكلم بعد العشاء بلغو.

---

(١) حسن رواه ابن ماجه.

الدليل القرآني

العافية الحقيقية الإيمان في الدنيا والفوز في الآخرة لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف، الآية: ١١٠] .

لا أسأل إلا الله

حكي أن رجلاً من ملوك الدنيا قال لشقيق: سل حاجتك؟

قال: إني أستحي من ربي أن أسألك ومولاي ناظر إلي يقول: سل حاجتك بلا خجل حتى أرض عنك ولا تسأل غيري فأمقتك ـ أغضب عليك ـ[١].

نصائح حاتم الزاهد

قال حاتم: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة:

- قدر الشباب لا يعرفه إلا الشيوخ.
- ولا يعرف قدر العافية إلا أهل البلاء.
- ولا قدر الصحة إلا المرضى.
- ولا قدر الحياة إلا الموتى.

أجر ذهاب العافية

روى ابن أبي رواد عن محمد بن مسلم يرفعه إلى النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي، فقال النبي ﷺ: **«لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه، إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه وإذا ابتلاه صبّره»**[٢].

يحسد أهل البلاء يوم القيامة

فإذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان، أهل

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات.

الصلاة والصيام والصدقة والحج، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم الميزان ولا ينشر لهم الديوان ويصب عليهم الأجر صباً، فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسامهم بالمقاريض لما يرون مما يذهب به أهل البلاء من الثواب. فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُمَر، الآية: ١٠] .

حقيقة العفو والعافية

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو فيقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة؟

فقال: «**أيُّ شيء تمام النعمة؟**»

فقال الرجل: دعوة دعوت بها أرجو بها الخير.

قال عليه الصلاة والسلام: «**فإن تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار**»(١).

وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام.

فقال: «**قد استجيب لك فسل**» ـ أي فادعُ ـ.

وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك الصبر.

فقال: «**سألت الله البلاء فسله العافية**».

دعاء العفو والعافية

عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف أقول حين أسألُ ربي؟

قال: «**قل اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني**» ـ ويجمعُ أصابعهُ إلا الإبهام ـ «**فإن هؤلاء يجمع لك دنياك وآخرتك**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي. (٢) رواه مسلم.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة**».

قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟

قال: «**سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة**»[١].

أبو الحسن النوريُّ

دخل النوريُّ إلى الحمام يغتسل فجاء لص فأخذ ثيابه، فخرج فلم يجدها فرجع إلى الحمام، فلم يكن إلا قليل حتى جاء اللص ومعه ثيابه فوضعها مكانها وقد جفت يده فخرج أبو الحسن من الحمام ولبس ثيابه.

وقال: سيدي قد ردَّ عليَّ ثيابي فرد عليه يده، فرد الله عليه يده.

مكث النوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج إلى السوق فيتصدق بالرغيفين ويدخل إلى المسجد فلا يزال يركع ويسجد حتى يجيء وقت عمله فيظن أنه قد تغدى في منزله ومن في بيته يظنونه قد تغدى في سوقه.

سئل النوري عن الرضا فقال: عن وجدي تسألون أو عن وجد الخلق؟

فقيل: عن وجدك.

فقال: لو كنتُ في الدركِ الأسفل من النار لكنت أرضى ممن هو في الفردوس[٢].

أمور عجيبة

قال بعض الحكماء: أمر الدنيا كلها عجب ولكني أعجب من ابن آدم المغرور خمسة أشياء:

---

(١) حسن رواه ابن ماجه.

(٢) أحاسن المحاسن.

١ ـ أتعجب من صاحب فضول الدنيا كيف لا يقدم فضوله ليوم فقره وحاجته إليه؟

٢ ـ أتعجب من لسان ناطق كيف يطاوع نفسه ويفتر عن ذكر الله تعالى وعن تلاوة القرآن؟

٣ ـ أتعجب من صحيح فارغ إذا رأيته مفطراً أبداً كيف لا يصوم من كل شهر ثلاثة أيام أو نحوه، وكيف لا يتفكر في عاقبة الصوم إذا استقبله؟

٤ ـ أتعجب من الذي يمهد فراشه، وينام إلى الصبح كيف لا يتفكّر في فضل صلاة ركعتين في الليل، فيقوم ساعة من الليل؟

٥ ـ أتعجَّب من الذي يجترىءُ على الله، ويرتكب ما نهاه عنه، وهو يعلم أنه يعرض عليه يوم القيامة، فكيف لا يتفكر في عاقبة أمره فيبتعد عنه؟[1]

اسألوا العفو والعافية من وسوسة الشيطان

قال الفقيه السمرقندي رحمه الله: حدثنا أبو مطيع عن الربيع بن بدر عن أبي محمد وكان أبو محمد رجلاً من أصحاب أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

قال إبليس لربه: أي رب جعلت لبني آدم بيوتاً يذكرونك فيها، فما بيتي؟

قال: الحمام.

قال: فجعلت لهم مجالس فما مجلسي؟ قال: السوق.

قال: فجعلت لهم قراءة فما قراءتي؟ قال: الشعر.

قال: فجعلت لهم حديثاً فما حديثي؟ قال: الكذب.

قال: فجعلت لهم آذاناً فما آذاني؟ قال: المزمار.

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي، باب الورع.

قال: فجعلت لهم رسلاً فما رسلي؟ قال: الكهنة.

قال: فجعلت لهم كتاباً فما كتابي؟ قال: الوشم.

قال: فجعلت لهم مصائد فما مصائدي؟ قال: النساء.

قال: فجعلت لهم طعاماً فما طعامي؟ قال: ما لم يذكر عليه اسمي.

قال: فجعلت لهم شراباً فما شرابي؟ قال: كل مسكر[١].

الابتعاد عن المعاصي من العافية

عن الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه أنه قال: جاء إليّ رجل فقال: أوصني بشيء. فقال له الفضيل بن عياض: احفظ عني خمساً:

١ ـ أن ما أصابك من شيء فقل ذلك بقضاء الله تعالى حتى ترفع الملامة عن الخلق.

٢ ـ احفظ لسانك لينجو الخلق منك وأنت تنجو من عذاب الله تعالى.

٣ ـ صدّق ربك بما وعدك من الرزق حتى تكون مؤمناً.

٤ ـ استعد للموت حتى لا تموت غافلاً.

٥ ـ اذكر الله كثيراً حيثما كنت حتى تكون محصناً من جميع السيئات[٢].

من كلام الحكماء

إذا أردت أن تكون أعلم الناس اتق الله تكن أعلم الناس.

إذا أردت أن تكون أعبد الناس أحبب للناس ما تحب لنفسك تكن أعبد الناس.

إذا أردت أن تكون أغنى الناس كن قانعاً تكن أغنى الناس.

إذا أردت أن تكون خير الناس كن نافعاً للناس تكن خير الناس.

---

(١) تنبيه الغافلين.

(٢) تنبيه الغافلين.

إذا أردت أن تكون أخصّ الناس	أكثر من ذكر الله تكن أخص الناس إلى الله.
إذا أردت أن يكمل إيمانك	فحسن خلقك يكمل إيمانك.
إذا أردت أن تكون من المحسنين	اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
إذا أردت أن تكون من المطيعين	أدِ فرائض الله تكن من المطيعين.
إذا أردت أن تلقى الله نقياً من الذنوب	اغتسل من الجنابة والذنوب تلق الله نقياً.
إذا أردت أن تحشر يوم القيامة منوراً	لا تظلم أحداً تحشر يوم القيامة منوراً.
إذا أردت أن يرحمك ربك يوم القيامة	أكثر من الاستغفار وارحم عباده يرحمك.
إذا أردت أن تكون أقوى الناس	توكل على الله تكن أقوى الناس.
إذا أردت أن تكون أكرم الناس	لا تشك من أمرك شيئاً تكن أكرم الناس.
إذا أردت أن يوسع الله عليك بالرزق	دم على الطهارة يوسع عليك في الرزق.
إذا أردت أن تكون من أحباب الله ورسوله	أحب ما أحب الله ورسوله تكن من أحبابه.
إذا أردت أن تكون آمناً من سخط الله يوم القيامة،	لا تغضب على أحد تكن آمناً من سخط الله.
إذا أردت أن تستجاب دعوتك	اجتنب أكل الحرام تستجب دعوتك.
إذا أردت أن تنجى من الذنوب	فاصبر على الأمراض وأكثر من البكاء.
إذا أردت أن تكون لك مرتبة حسنة عند الله	حسّن أخلاقك وتواضع للناس.

اعلم أن أعظم سيئة عند الله الشح وسوء الخلق[١].

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعوياً:

١ ـ إن الإنسان حقيقة لا يعلم ما يضره وما ينفعه لهذا يجب أن يسأل الله ﷻ ما فيه خير الدنيا والآخرة.

٢ ـ العفو الحقيقي أن تتوسل الله ﷻ أن يصرف عنك غشاوة وظلمة الذنوب، فكم من صاحب ضلال يظن نفسه صاحب خير إن كان يدعو لنفسه أو لهواه أو رياء فاسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: الآيتان ١٠٣، ١٠٤] .

٣ ـ نتعلم أن العافية الحقيقية هي عافية الدين والإيمان، فكم من معافى في بدنه مريض في نفسه، وكم من معافى في ماله مريض في دينه.

---

(١) من أقوال الحكماء.